دين أبي العلاء

اذا حاول الانسان أن يتكلم في أبي العلاء وجد مجالاً واسعاً للقول لأن في شعره أبياتاً رائعة في كل غرض من أغراض الشعر وفي نثره آيات بارعة لا تقل عن شعره في الجودة ولكن الناس نسوا أو تناسوا ذلك ولم يذكروا له إلا السيئات حتى في هذا اليوم الذي أعد للاحتفاء به .

ولقد بدا لي أن تكون كلمتي هذه في تشاؤمه الذي فرض عليه فرضاً فرأيت ذلك يجر إلى سخط القائلين به فصرفت نفسي عنه .

ثم حسن عندي أن أبين عطفه على المرأة لأن بعض الناس يعتقد أنه أعدى عدولها ولكنني عدلت عنه لأنه يحتاج إلى تطويل لا يتسع له هذا المقام.

وبعد اللتيا والتي . تخيرت القول في دين أبي العلاء أو مذهبه أو معتقده .

ما هو السبب في تكفيره

افتن المتقدمون والمتأخرون في تكفير هذا الرجل ووصفوه بالالحاد والزندقة والمروق وما أشبه ذلك من النعوت ولا بدلكل حادث في هذا الكون من سبب يوجبه وعلة تقتضيه والممعن في البحث يجد أسباباً كثيرة لذلك من اشدها الحسد من أعدائه والتنطع والتشدد في الدين من خصومه والطموح إلى الظهور على أكتافه . والولوع بالإغراب على حسابه .

الحسد

أما سبب الحسد فان أبا العلاء أوتي من المواهب الفطرية ما لم يؤته كثير من الناس ونال حظوة عند الملوك والأمراء والكبراء فلما نالها شاعر أو عالم ورزق من طيرورة الشهرة ما لم يتح لكثير من النوابغ .

فقد بذل له المستنصر العلوي ما في بيت المال في المعرة . وكتب داعي الدعاة إلى تاج الأمراء أن يجري له ما تدعو اليه حاجته في جميع مهـــامه .

وكلف الوزير الفلاحي عزيز الملك أن يحمله إلى مصر ليبني له دار علم . وسمح له بخراج المعرة مدة حياته فأبى ذلك كله وكان عفافه هذا يزيده حرمة في أعين الملوك فمن دونهم ولم يمرّ بالمعرة وزير مذكور أو فاضل مشهور إلا وقصده واستفاد منه أو طلب شيئاً من تصنيفه أو كتب عنه .

فهذه الحظوات وتلك المواهب أوقدت في قلوب حساده ناراً .

التنطع والتشدد

وأما سبب التنطع فان أبا العلاء انتقد كثيراً من المزاعم التي كان يعتقدها بعض الناس في زمانه .

فأنكر أن يكون حام اسودّ من أجل ذنب أحدثه . وأن يكون الخضر حياً . وان الشيب لم يعرفه الناس قبل ابراهيم وأن الآدمي كان إذا عطس لفظ أنفساً . وأن الشمس تضرب وتهان إذا حان الشروق وأن عجوزاً تحلب القمر وأن . وأن . .

وأنكر تأثير الاحراز التي تكتب لدفع العين أو الجن كما أنكر المشي على الماء والطيران في الهواء وأن يعود مليك مصر إلى الدنيا وأن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء إلى كثير من مثل هذه المزاعم وكان جريئاً في نقده وإبداء آرائه فتناول رؤساء المذاهب والنحل والملوك والعلماء والخطباء والشعراء والتجار وقلما سلم منه صنف من الناس ولم يتخير لذلك قولاً ليناً ولا أسلوباً لطيفاً وإنما واجه هؤلاء بكلمات أشد من الصواعق . وفي اضعاف كلامه كثير مما لا يرتضيه المتشددون في الدين وإن لم يوجب تكفيره .

وأما الطموح الى الظهور

فقد رأينا فيمن انتقد أبا العلاء كثيراً ممن لم يستطع إدراك ما يريده أبو العلاء من كلامه على وجه صحيح وربما جاء بالبيت على أنه حجة له وهو حجة عليه ولكنه انتقده ليقال إنه انتقد أبا العلاء ؟

وأما الولوع بالاغراب

فان فريقاً من الناس يجد في البحث عن زلة لأبي العلاء ويتسقط هفواته حتى إذا ظفر بشيء ولو بشبهة. ضعيفة ابتهج وتنفج كأنما أحدث فتحاً جديداً في الاسلام وفيهم كثير ممن عثر فيما قال عثرة لا تقال.

فتألب عليه حساده وأولئك المتطعون والطاعنون والمولعون وأرادوا أن يسقطوه من أعين الناس فالتمسوا مغمزاً في علمه وأدبه وعفافه فلما أعياهم ذلك لجؤا إلى الدين فاتخذوا منه سلاحاً للطعن فيه ومالأهم على ذلك فريق ممن يتابع على غير بصيرة فهذه هي أكثر الأسباب، تأثيراً في تألب الناس عليه.

ماذا قالوا يفعلون

اتفقت كلمة حساد أبي العلاء وأعدائه على تكفيره ولكنهم اختلفوا في الطرق التي توصله إلى ذلك فمنهم من كفره بما لا يوجب التكفير ومنهم من نسب إليه أبياتاً هو بريء منها ومنهم من حرف أقواله عما يوجب الايمان إلى ما يوجب الكفر ومنهم من جره إلى الكفر بغير سبب ولا مناسبة ومنهم. ومنهم .. ومن هؤلاء ياقوت فقد جعله ملحداً وروى له هذين البيتين:

اللاذقيـــة فتنـــة ما بين أحمد والمسيح
هذا يعالج دلبـــة والشيخ من حنق يصيح

ولم يروهما غير ياقوت ولا هما في ديوانه ولا يظهر فيهما أثر للالحاد وتأليفهما الركيك يشهد بأن المعري بريء منهما. ولقد كانت العامة أبرع من ياقوت في التكفير فانهم لم يروا فيهما ما يوجب الالحاد فزادوا بيتاً ثالثاً وهو:

كل يعظم دينـــه يا ليت شعري ما الصحيح

وأورد أبو العلاء في رسالة الغفران أبياناً لسمير بن أدكن مطلعها:

يصول أبو حفص علينا بدرة رويدك ان الحق يطفو ويرسب

فقال ياقوت هذا يشبه أن يكون شعر المعري قد نحله هذا اليهودي. كأنما أنكر أو أكبر أن يكون شعر فيه كفر أو إلحاد لغير أبي العلاء.

وزعم ابن الجوزي والباخرزي و لذهبي ان أبا العلاء عارض السور والآيات بكتاب الفصول والغايات . وربما كان فيهم من لم يطلع عليه . ولم يبين واحد منهم مايريد بالمعارضة فان ارادوا المعارضة بالمعاني والاغراض والمقاصد فهذا باطل لأن اغراض القرآن الكريم كثيرة ومقاصده مختلفة منها شرع الاحكام وبيان بعض الشرائع التي كانت قبل الاسلام وقص الاخبار وما اشبه ذلك والفصول والغايات اغراضه قليلة ومقاصده محدودة لاتكاد تخرج عن تمجيد الله وعن العظات وقد تصدى فيه الى القول في الموسيقى والعروض والنحو ونحو ذلك مما ليس له أثر في القرآن الكريم .

وإن أرادوا المعارضة بالألفاظ فهذا باطل أيضاً لأن أبا العلاء التزم في كتابه هذا أن يكون آخر كل غاية على حرف من جروف الهجاء وأكثر من السجع واستعمال الغريب واستشهد بأقوال الشعراء والحكماء والأمثال ونحوها والقرآن الكريم خال من ذلك كله .

والذي أعتقده أن أبا العلاء كانت له ثروة في اللغة وباع طويل في الحكم واطلاع واسع على العلوم المختلفة فوضع هذا الكتاب على هذا النمط ليبين فيه قدرته في كل ما تقدم وبما ذكرناه يتبين أن بين القرآن الكريم وكتاب الفصول والغايات فروقاً متعددة في الألفاظ والمعاني .

وروى أبو الفداء في تاريخه هذين البيتين على هذا الوجه :

أتى عيسى فبطل شرع موسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبي بعد هذا فضل القوم بين غد وأمس

والصواب روايتها كما وردا في ديوانه لزوم ما لا يلزم :

دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين غير هذا وأودى الناس بين غد وأمس

والزمخشري أورد في الكشاف بيت أبي العلاء في وصف النار :

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

ثم قال وكانه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن . ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين إلى آخر قوله . وهذا البيت يصف فيه المعري نار القرى وهو من قصيدة رثى بها الشريف الموسوي وهو ببغداد . وليس فيه ولا

في القصيدة كلها ما يدل على ما قاله الزمخشري . ولعل هذا البيت أجمل بيت قالته العرب في وصف النار .

ونسب ابن السبكي في الطبقات إلى أبي العلاء البيتين المشهورين وأولهما :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

ثم قال : قبحه الله ما أجرأه على الله . . . وهذان البيتان لابن الراوندي .

ونسب أبو الحسين الجزار هذا الشطر لابي العلاء وهو :

حديث خرافة يا ام عمرو

وهو لبعض مشركي العرب .

وهناك كثير من مثل هذه الاقوال المحرفة ألصقت بأبي العلاء ظلما وزوراً .

وإذا كان مثل هؤلاء الائمة لا يتثبت في الرواية ولا يتورع عن التحريف والتقول ويكفر بغير موجب فما نقول فيمن هو أدنى منهم منزلة في العلم والشهرة .

وفي الناس كثير ممن يكفر أبا العلاء وإذا سألته عن السبب قال لك إني لم أر شيئاً من كلامه ولكني رأيت فلاناً من العلماء يكفره فقلدته في ذلك ومن قلد عالماً لقي الله سالماً .

ومثل هؤلاء مثل رجل مر بالسوق فرأى فريقاً من الناس يضربون رجلا مسكيناً فجاء إليه وأوسعه ضربا وشتما وسبا فقيل له من هذا الذي ضربته وما السبب الذي حملك على ضربه وسبه فقال إني والله ما عرفته قبل اليوم ولا عرفت له ذنباً ولكني رأيت الناس يضربونه فضربته وهذا سبيل كثير من الناس مع أبي العلاء استضعفوه فنتفوه حياً وميتاً .

كيف وزع المعري على الملل والنحل

لم تتفق كلمة المتقدمين والمتأخرين على جعل ابي العلاء يدين بدين واحد وإنما جعلوه نهبا مقسما بين الملل والنحل والحقه كل واحد بما شاء وشاء له الهوى .

فجعلوه برهميا ومزدكيا وزنديقا وملحداً وكافرا ومعطلا ودهريا وقرمطياً وشيعياً ودرزيا وتقياً وزعم فريق أنه عارض القرآن ومن عطف عليه جعله في حيرة او صاحب تقية او مجمعاً للمتناقضات ومنهم من جعله ساحراً إلى غير ذلك من الاقوال ولكل واحد من هؤلاء متمسك يعول عليه في حكمه .

البرهمية

أما من قال أنه برهمي فاستدل على ذلك بأنه لم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة . وكلام أبي العلاء يدل على أنه لا يعتقد أن أكل اللحم محرم وإنما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح ورغبة بغفران الله . ويعتقد أن العقل لا يقبح ترك أكله وإن كان حلالا لان المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق . وان له في السنة نيفاً وعشرين ديناراً يأخذ خادمه بعضها وما بقي لا يعجب فاقتصر على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن . هذا ما قاله أبو العلاء ولكن الناس يجعلونه برهمياً شاء أم أبى وقد روي أن النبي ﷺ أتي بشربة من لبن مشوبة بعسل فقال أما اني لست احرمه ولكني أتركه تواضعاً لله . والتاريخ طافح بأخبار المتدينين الذين كانوا يمتنعون من تناول الأطعمة المباحة زهادة فيها ورغبة في التقرب إلى الله .

المزدكية

وأما المزدكية فمن أعجب العجب جعل المعري مزدكياً لأن مزدك على ما قال ابن الأثير كان يستحل المحارم والمنكرات ويسوي بين الناس في الأموال والنساء ويأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر . وقد طلب من قباذ أن يسلمه امرأته فاجابه ولكن ابنه انوشروان حال دون ذلك والقصة مشهورة

وأبو العلاء كان يأبى زواج الحرائر ويتشدد في منع المرأة من الخروج إلى الحمام والعراف والحج ويحظر دخول الوليد عليها كل ذلك غيرة عليها وقد قال :

برئت إلى الخلاق من أهل مذهب يرون من الحق الاباحة للأهل

فجعله مزدكياً بعد هذا من الغرائب .

القرمطية

وأما نسبته الى القرمطية فلا تقل في الغرابة عن نسبته إلى المزدكية لأنه لعن بعضهم وكفرهم في رسالة الغفران ص ١٤٥ وقال فيهم في لزوم ما لا يلزم :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظن لإمام سوى العقـــــل مشيراً في صبحه والمساء
انما هذه المذاهب أسبـا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرض القوم متعـة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء
كالذي قام يجمع الزنج بالبصـــــرة والقرمطي بالاحساء

وبعض الناس يقتطع قوله : إنما هذه المذاهب أسباب ... ويجعله بيتاً منفرداً ليصرفه عن القرامطة ويجعله شاملاً لكل مذهب ليثير الناس عامة على تكفيره وأما نسبته إلى بقية المذاهب الأخرى فعلى مثل هذا النمط والقياس كلها قائمة على الشبه وإيرادها ثم ردها وإبطالها يحتاج إلى وقت طويل .

التقية

وأما التقية فلعلها أغرب ما قيل فيه وذلك أن الانسان إنما يلجأ إليها عند الخوف من فتنة أو شر أو بطش . وأبو العلاء صرح في مواطن كثيرة بأمور هي أحق من غيرها بالتقية . فاين التقية ممن يقول في ملوك عصره .

مل المقام فكم أعاشر أمـة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ساس البلاد شيـاطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان

يسوسون الأمور بغير عقل فينفـذ أمرهم ويقال ساسه
فاف من الحيـاة وأف مـني ومن زمن رئاسته خساسه

بل اين التقية ممن يقول :

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فما المظات وإن راعت سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا يكذبوا ما في البرية جيد
فأميرهم نال الامارة بالخنى وتقيهم بصلاته يتصيـــد

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً لما تحصل شيء في الغرابيـل

وديوانه مكتظ بمثل هذه الصراحه الاذعة ولو كان عنده شيء من التقية للجأ اليها في مثل هذه المواطن او استغنى عنها .

رأينا في اعتقاد ابي العلاء

يحدثنا التاريخ ان ابا العلاء كان يرمى من اهل الحسد له بالتعطيل وان تلامذته وغيرهم كانو يحملون الاشعار على لسانه ويضمنونها اقوال الملحدة قصداً لهلاكه وقد حرف اثنان منهم بيتا من لزوم ما لا يلزم ليثبتا عليه الكفر فكتب رسالة الضبعين الى معز الدولة يشكوهما اليه ويبين له ان في حلب نسخا من الكتاب بريئة من التحريف وإن أبا العلاء ألف كتاباً في الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن وفي الجواب عن أبيات أخرجوها من لزوم ما لا يلزم وكفروه بسببها وسماه زجر النابح ثم طبعوا فيه بأبيات أخر فوضع كتاباً آخر سماه نجر الزجر أو بحر الزجر بين فيه التحريف ووجوه الأبيات ومعانيها وإن أعداءه لم يألوا جهداً في الافتراء عليه وإن كتبه التي وصلت إلينا مغمورة بالشعور الاسلامي وليس في شيء منها متمسك لخصومه إلا رسالة الغفران ولزوم ما لا يلزم.

رسالة الغفران

أما رسالة الغفران فقد قيل ان فيها تهكماً واستخفافاً وهما من الأمور النفسية التي لا يعلمها إلا الله ولا يمكن لبشر أن يعلمها إلا إذا أخبره بها صاحبها ولم ينقل عن أبي العلاء شيء من هذا وبناء الحكم على الشبهة او الاحتمال لا قيمة له عند أهل العلم .

لزوم ما لا يلزم

وأما لزوم ما لا يلزم وهو الذي يعتمد عليه الناقدون والناقمون فقد طبعت نسخة منه في الهند ثم طبع في مصر وهذه النسخة لا نعلم نحن ولا غيرنا يعلم عن أية نسخة نقلت .

ولكننا نعلم يقيناً وفوق اليقين أنها لم تسلم من عبث الطابع والشارح فقد وردت فيها أبيات فيها كلمات زائدة على الوزن كقوله :

وقد ضننت بشاة وهي فاردة على أزل فقيد المال قوت عسال

فكلمة قوت زائدة . وأبيات فيها نقص كقوله :

يخادع ملك الارض إذا أتت منيته لم تغن عنه مخارقه

ولعل أصل البيت حتى إذا أتت . أو نحوها فقد نقص البيت كلمة . وأبيات فيها تحريف كقوله :

والنون في حكم الخواطر محدث والاولى هو الزمان المظلم

والصواب والنور في حكم . . وقد فسر الشارح بعض الكلمات تفسيراً غريباً كقوله :

وجوهكم كلف وأفواهكم عدى . . .

قال الشارح العدي كل خشبة بين خشبتين . وحجر رقيق يستر به الشيء فيكون المعنى وأفواهكم خشبة . . أو حجر . وما أغرب هذا التفسير . وربما اجتمع في البيت الواحد تحريف وتفسير وكل منها يخل بالمعنى كقوله في الديك :

ورثت هدى التذكار من عهد جرهم أو ان ترفت في السماء النعائم

قال في الشرح النعائم النعام ورف الطائر بسط جناحيه وهو غير مستعمل وانما المستعمل رفرف إلى آخر كلامه .

وصواب البيت أوان ترقت في السماء النعائم والمراد بالنعائم هنا ثمانية كواكب وهي من منازل القمر يقال لها النعائم وكقوله من أبيات يذكر فيها أبو العلاء ما يقتاته :

لا أفجع الام بالرضيع ولا أشرك هـــذا الفرير باللبن

أقتات من طيب النّهات وهل يسلم عود الفتى من الأبن

قال في الشرح والنّهات النّهاق [أي الحمار] والاسد والزّحار . والزحار جاء لمعان منها داء يأخذ البعير فيزحر منه حتى ينقلب سرمه ومنها استطلاق البطن . فقد جعل الشارح أبا العلاء يقتات حماراً أو أسداً أو زحاراً على أحد معانيه وكل ذلك قوت ممقوت . وصواب البيت أقتات من طيب النبات .

وفي الكتاب مئات من مثل هذه الهنات لم ينبه عليها الشارح لانه لم ينتبه لها وإذا كان لا يفطن إلى ما يخل بالوزن أو المعنى وهو أقل ما يجب على الشارح ويزيد الخرق اتساعاً بالتفسير الذي يمجه الذوق ويأباه العقل في الأمور البديهية فهل نأمن بعد ذلك من التحريف فيما يتعلق بدين المعري واعتقاده . ولو وقع في كلامه مثل هذه الجملة أنا أومن بالله ولا أشرك به لما استبعدت أن يحذف كلمة لا من الجملة الثانية ويزيدها في الأولى قياساً على ما رأيته في شرحه ولو ساعد المقام لأوردت جملة من هذه المضحكات ومن المعلوم ان لزوم ما لا يلزم لم يكن من كتب العقائد والدين وإنما هو ديوان شعر والشاعر قد يبالغ أو يوجز ويقول ما لا يفعل ويتخيل أمراً غير واقع ويلجأ إلى المجاز كما قال أبو العلاء

لا تقيد على لفظي فاني مثل غيري تكلمي بالمجاز

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا يجوز أن توزن أقواله بما توزن به النصوص الشرعية وأقوال العلماء في كتب الدين ولا أن يدقق في مفاهيمها وقيودها ما يدقق في كتب العقائد وإن التشدد في مثل هذا سهل على أعداء الغزالي أن يطعنوا فيه بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان . والعقل يستبعد من الغزالي أن ينسب العجز إلى الله .

ومن أمعن النظر تبين له أن المعري يحتذي على مثال المعتزلة والحكماء النظريين فانه جعل العقل أساساً لآرائه . وعلى هذا الأصل ذهب في الفصول والغايات ولزوم ما لا يلزم إلى أن الله تعالى يقدر على المستحيلات لأن عدم القدرة عجز وهو صفة نقص فيجب أن ينزه الله عنه . وإن كثيراً من القضايا الشرعية يقصر العقل عن إدراك حكمة الشارع فيها .

ويظهر لمن تقصى في البحث أن فريقاً من الناس إذا رأى بيتاً للمعري يوهم الحكم عليه بسوء العقيدة تمسك به وإذا رأى مئات من الأبيات الصريحة في الدلالة على حسن اعتقاده ضرب بها عرض الحائط ولم يلتفت إلى قوة الأدلة ولا إلى تكافؤها والقاعدة أن الأدلة إذا تعارضت تساقطت فاذا سلمنا أن الأدلة التي تثبت إيمانه متكافئة مع الأدلة التي تنفيه في القوة والصراحة والسلامة من

الاحتمال حكمنا بسقوطها ووجب علينا أن نلتمس سبيلاً آخر لايضاح هذه الناحية وليس لدينا إلا حياة المعري العملية وهذا التاريخ يحدثنا أنه كان صواماً قواماً صالحاً تقياً زاهداً طاهر اللسان واليد والذيل .

ولا مشاحة في أن التكفير حكم شرعي ولا بد لكل حكم شرعي من علة توجبه وطريق يثبته ولا يصح الحكم على إنسان بالكفر إلا إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وكان هذا الانكار ثابتاً بدليل سالم من الاحتمال لأن الدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وقد رأينا فريقاً من العلماء إذا رأى في كلام المعري شبهة توجب تكفيره تمسك بها وإذا رأى ما يوجب إيمانه قال انه تقية . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نكفر كل إنسان حتى في قوله لا إله إلا الله لأننا نجعل قوله لا إله نفياً للاله موجباً للكفر . وقوله إلا الله من باب التقية ومثل هذا لا يرضاه العلم ولا العدل .

وبعد كل ما تقدم فان أعظم المواطن التي أنكرها الناس على أبي العلاء يكاد ينحصر في خمسة أمور :

الأول اعتقاده بالله وقد يجد الناظر في كتبه أنه أثبت لله من صفات الكمال كل ما أثبته أهل السنة ونفى عنه ما نفوا ولم يشذ عنهم في شيء إلا في مسألتي الزمان والمكان على ما فيهما من نظر .

وقد نسبه فريق إلى الجبر وهو بريء منه ويشهد لذلك قوله :

لا تعش مجبراً ولا قدرياً واجتهد في توسط بين بينا

وأصرح منه قوله :

وإن سألوا عن مذهبي فهو خشية من الله لا طوقاً أبت ولا جبرا

واحتج لبطلان الجبر بقوله :

إن كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على ما يفعل

وما يراه الانسان في بعض أبياته الأخر مما يوهم الجبر فهو من نوع مايراه في أقوال العلماء عند إثبات الجزء الاختياري أو الارادة الجزئية أو ميل النفس حتى قال بعض المحققين الانسان مجبر في صورة مختار .

وفريق آخر جعل المعري جامعاً للمتناقضات فهو مؤمن كافر وبر فاجر وتقي زنديق ودهري موحد فهو عنده مجموعة غريبة أو جامع لكل غريب . ومنهم . ومنهم .

الثاني والثالث اعتقاده بالكتب والرسل أو النبوات .

أبو العلاء عظم القرآن كثيراً وأنكر جواز النسخ عليه ووصفه في رسالة الغفران في ص ١٥٨ وصفاً بديعاً لا يصدر إلا عن قلب مفعم بالايمان به .

وقلما رأيته ذكر نبياً إلا وأعقبه بقوله ﷺ إلا إذا ضاق الوزن أو السجع عن ذلك وقد ذكر النبي ﷺ في الجزء المطبوع من الفصول والغايات نحواً من اثنين وعشرين مرة وفي كل مرة يقول ﷺ .

وقد رويت له أبيات في الكتب والنبوات لا يمكن تأويلها تأويلا حسناً إذا صحت نسبتها إليه منها ما هو في لزوم ما لا يلزم ومنها ما انفرد بروايته راو واحد كياقوت وأبي الفداء وغيرهما .

واذا سمح لنا أن نجهر بقول الحق امكننا ان نقول إن في بعض هذه الابيات حقائق لم يستعد كثير من الامة لقبولها بعد ولا يسامح في البحث فيها فندعها الآن إلى الزمان حتى لا نكفر على حساب أبي العلاء .

الرابع اعتقاده بالملائكة

لقد أثبت أبو العلاء الملائكة ولم ينف عن قدرة الله أشباح ضياء بغير لحم ودم وذكر كثيراً منهم في كتبه واعتقد وجودهم في السماء والارض والدنيا والآخرة واعتقاده فيهم لا يخالف اعتقاد أهل السنة :

الخامس الحشر

لأبي العلاء في نثره ونظمه كثير من الجمل والابيات تدل دلالة صريحة قطعية على اعتقاده الحشر وفي لزوم مالا يلزم وحده أكثر من مائة بيت كلها تصرح باثبات الحشر أو ما يكون فيه من جنة ونار وحساب وما أشبه ذلك وقد أعرض عنها بعض الناس وتمسكوا بقوله :

يحطمنا ريب الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

ورواه ياقوت :

يحطمنا صرف الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وسواء أكان الصواب لا يعاد له . أم لا يعاد لنا . فانهم جعلوا البيت دليلا على انكاره الحشر . ومن البديهي أنه يريد بهذا البيت اننا ضعاف كالزجاج يسهل تحطيمه ولكن بيننا وبينه فرق وهو أن الزجاج إذا حطم في الدنيا أمكن أن يسبك فيعود إلى ما كان عليه فيها ولا يريد السبك في الآخرة وإذا لم يحمل كلامه على هذا الوجه كان معناه بيننا وبين الزجاج فرق وهو أن الزجاج يعاد سبكه في الآخرة ونحن لا يعاد لنا سبك فيها . وهذا بعيد أن يصدر عن مثل أبي العلاء .

النتيجة

إن التاريخ لم يعين لنا الزمن لكل قول من أقوال أبي العلاء حتى نجعل المتأخر منها ناسخاً للمتقدم ونحكم عليه بآخر أقواله .

وإننا نحترم كل رأي كما نحترم صاحبه وإن كان مخالفاً لما نعتقده في أبي العلاء واننا لا نريد أن نجعل أبا العلاء في مصاف الصديقين والاولياء المقربين ولا نحاول أن نبرئه من كل ما قيل فيه .

وإنما نريد أن نبين أن تكفير الانسان بما ينسب إليه من قول لا يصح إلا إذا ثبت بدليل قاطع أنه تكلم بذلك القول على الوجه الذي أوجب تكفيره .

وأن التكفير على ماخيلت أو على شبه أو أدلة محفوفة بالشكوك أو الاحتمالات لا قيمة له في نظر الدين ولا في نظر العلم .

وإن الجنة ليست في أيدينا حتى نهبها من نشاء وننزعها ممن نشاء .

وأن أبا العلاء قال ما قال ولم يعبأ بما قيل ولا بما يقال ولا بمن قال وسجل اسمه في ديوان الخلود رضي أعداؤه أم لم يرضوا .

وأن رحمة الله التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض لا تضيقان عن رجل يقول :

أأصبح في الدنيا كما هو عالم ... وأدخل ناراً مثل قيصر أو كسرى

وإني لأجو منه يوم تجاوز ... فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى

وكنت أود أن يتسع الوقت لأورد من كلام أبي العلاء ما يدل على كل ما ذكرته ولكن ما كل ما تمنى المرء يدركه . وعسى أن لا أكون في كلتي هذه كمن حاول أن ينقذ غريقاً فغرق معه .

محمد سليم الجندي